نظرات في كتاب:

من شعراء الإسلام

لمحمد بن حسين

مناسبة الملف الخاص عن عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية، الأستاذ الدكتور محمد بن سعد بن حسين - رحمه الله - دفعتني إلى مراجعة آثاره ومؤلفاته، وعلى الرغم من أن طلاب العلم يرون في مكتبة الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا أفضل مكتبة في ماليزيا، من حيث عدد الأوعية العلمية الموجودة فيها، فإني لم أجد غير ثلاثة كتب للمرحوم، واحد كان في التجليد، صرفت النظر عنه، والثاني عن المديح النبوي بين المعتدلين والغلاة، والثالث هو موضوع مقالتي الموجزة.

ومن حسن حظي أني وجدت فهرسا للكتاب يغري بالنظر في المضمون خلافا لما فعله أحد الباحثين حين جعل معظم كتبه بغير فهرس، كأنه يرغم القارئ أو يحمله على قراءة الكتاب كله!.

د.منجد مصطفى بهجت - ماليزيا

كنت قرأت من قبل مراجعة للدكتور محمد بن سعد بن حسين مع الدكتور عماد الدين خليل في موضوع الأدب الإسلامي[1]، وحسبت أني سأتناول الجانب التربوي في الكتاب لعلاقة التربية بالأدب من قديم أو من جديد، ولكن استقر لدي العنوان على هذه النظرات الموجزة في الكتاب.

نسخة الكتاب التي بين يدي تشير إلى أنه طبع في الرياض سنة ١٩٨٤م، فهو يمثل الكاتب وقد تجاوز الخمسين من السنين، إذا علمنا أنه مولود في سنة ١٩٣١م.

صرح في مقدمة كتابه أن المستهدفين هم كثير من غير العارفين والمغالين في المحافظة الذين يرون أن الإسلام ينبذ الشعر ويناصبه العداء، آخذين بظاهر آية الشعراء... وأنهم لم يكملوا الآيات، ولو أكملوها لعلموا أن الله تبارك وتعالى إنما ذم من الشعراء من سخّر لسانه لما لا ينسجم مع الفكر الإسلامي...

بعد هذا المدخل ينتقل إلى مقاربة جديدة تقع في مفهوم الاصطلاح، ليختار تسمية للشعر الإسلامي هي شعر الدعوة الإسلامية ويعرفه بقوله: «الشعر الذي خدم به أربابه الإسلام فكرا واعتقادا وعملا»، فكأنه بذلك يجعل وظيفة الشعر محصورة في أركان ثلاثة، الفكر والاعتقاد والعمل.

ويريد بالأول شرح مسائل الإسلام أصولا وفروعا، وشرح أفكار رجال الإسلام وذاك لمن جهله أو جهل شيئا منه، وذلك بأسلوب شعري ييسر المسائل ويقرب الأفكار إلى ما يبعثه في ذهن السامع أو القارئ من تشوق واستشراف. وهو بهذا المفهوم يحمل الشعر وظيفة فكرية تدخل في الأصول والفروع والمسائل، وكأنه يتحدث عن الشعر التعليمي... الذي يمكن أن ينطبق عليه هذا المفهوم! لكن استدراكه بذكر التشوق والاستشراف يعيد الشعر إلى حقيقته الغنائية... والشاعر الإسلامي يتجاوز دوره الشرح إلى الإنشاء وتوليد الأفكار.

د. محمد بن سعد بن حسين

د. عماد الدين خليل

وفي الركن الثاني يرى في الشعر طريقا لليقين تلبسه العقيدة الإسلامية، فيجيء أصدق شعر... ولم يوضح للقارئ الفرق بين الصدق العقدي وما يلتزمه الشاعر من صدق فني، وجاء هذا المفهوم في خاتمة كتابه، وأنه ليس المقصود بـ «أعذب الشعر أكذبه» المعنى المناقض للصدق.[2]

ويحدد المقصود بالعمل، أنه التحميس وإغراء السامعين في سبيل الإسلام جهادا ودعوة، وإصلاحا... وهي طموحات تعقد الآمال عليها كثيرا... ولا تكاد تتحقق في أشعار معظم من ساق ترجمتهم إلا نادرا أو يسيرا؛ ويحاول أن يقدم أمثلة على ما قدم فيقدم ثلاثة أبيات لثلاثة شعراء معروفين، زهير والحطيئة وجرير، ويخلص من هذه المقدمة إلى الحديث عن الشعر الحديث، لأنه حظي من الشعر الإسلامي بأوفر نصيب، ويجعل أسباب ذلك أي دواعي الشعر

الإسلامي ستة: ضعف الأمة العربية والإسلامية وبخاصة في أيام العثمانيين أولا، ومواجهة أعداء الإسلام الذين وصفوا دين الإسلام بالهمجية، بالحكمة والموعظة الحسنة ثانيا، ثم كان الاتصال بالغرب سبيلا لانتقال عادات الغربيين وتقاليدهم واغترار المسلمين بها، وأنتج ذلك أن عددا من شعراء الإسلام وقفوا ضد هذا التيار سببا ثالثا، ثم جعل للاستعمار والحربين العالميتين أثرا في انتشار الأمراض الاجتماعية والاقتصادية، وأن الشعراء وجدوا في فكره ما يعالج هذه الأمراض سببا رابعا، ويأتي السبب السادس مجانسا للأسباب الأربعة السابقة، ممثلا في عداء النصارى للإسلام، بتوجه الشعراء إلى تسجيل مفاخر للإسلام ونظم تاريخه وسير أبطاله، فالأسباب الخمسة المتقدمة جعلت ظهور الشعر الإسلامي رد فعل للأوضاع السلبية التي يعيشها العالم الإسلامي بشكل عام.

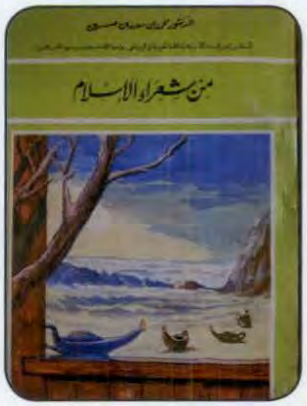

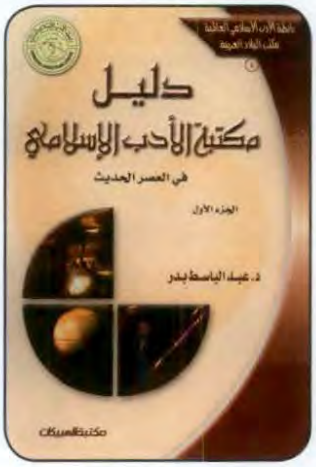

والسبب الخامس للشعر الإسلامي لا نراه مرتبطا بفكرة الإسلام، فظهور لون جديد هو الشعر المسرحي هو نتيجة طبيعية للتأثر بالمدارس الغربية التي عرف بها هذا اللون بشكل واضح، ولاسيما فإن أكثر هذا اللون لم يلتزم بمفهوم الإسلام بشكل عام.

وقد شفع كل عامل بأسماء الشعراء الذين مثّلوه، ولم يشر إلى أي شاعر مثّل السبب الرابع، ومعظم من تمثل بهم كانوا من مصر باستثناء عمر أبي ريشة ووليد الأعظمي، ومحمد إقبال وشفع ذكره بشبه جملة (مع تحفظ) كذلك بعض شعراء الجزيرة.... وهو ما يضعف وجه الاحتجاج، فقاعدة الشعر أوسع من ذلك لاتساع القائلين فيه على امتداد العالم العربي فضلا عن العالم الإسلامي.

وبعد أن انتهى من دواعي قول الشعر الإسلامي استدرك عاملين آخرين، الأول: قول الشعر في مكة والكعبة، وفي المولد النبوي، والهجرة. والثاني ما قيل في الرثاء والمدح، ورأى فيهما أنهما من شعر الدعوة الإسلامية، وختم بتتبع أثر الإسلام على بعض الشعراء النصارى.

وذكر هذه الأسباب الستة في رأي محمد بن سعد، يمثل تصورا يخص الباحث نفسه، إذ لم يشفعه برأي باحث آخر، كما لم يوثقه بأي مصدر على ما هو معهود في الدراسات الأكاديمية، وهو ليس بعيدا عنها، وتجاوزه المصادر - وما أكثرها! - المختصة بدواعي الشعر الإسلامي في الرسائل الجامعية والمصنفات والبحوث المنشورة، وقواعد المعلومات والمدونات الكثيرة التي بين أيدينا، وأعداد كثيرة من البحوث في موضوع الشعر الإسلامي الحديث، ومنها مكتبة الأدب الإسلامي للدكتور د.عبد الباسط بدر، وقد صدرت عن رابطة الأدب الإسلامي مبكرا... كان يمكن أن يغني موضوع الكتاب ويتضافر في تأييد الظاهرة أو نفيها.

وتتكرر الظاهرة في التراجم نفسها إذ لا تكاد تجد إحالة إلى مصدر أو مرجع في الكتاب كله إلا مواضع قليلة جدا منها ما جاء في ترجمة شوقي والرصافي... وإن كان في متن الكتاب يحيل إلى بعض المصادر التي نقل منها[٣]، ومما يبدد الشك في منهجه وعدم قصده التوثيق لما أورده من أخبار ونصوص شعرية كثيرة في كتابه، أنه لم يكن أكاديميا في كتابه، بل كان محدّثا، قوله في خاتمة الكتاب، لقد فرغت من هذه الأحاديث العجلى[٤]، فهي بهذا منسجمة أن تكون أحاديث مقدمة للإذاعة وليست مقالات أكاديمية[٥].

عبدالله بن خميس

علي أحمد باكثير

وعلى الرغم من أن مدخل الكتاب يشي بأن الباحث سيفرغ في كتابه لشعراء الإسلام في العصر الحديث، فإنه ترجم لشعراء من عهود إسلامية مختلفة، فجاء التوزع الزماني والمكاني للشعراء في الكتاب على الشكل الآتي:

خمسة من شعراء الصحابة، وهم: عبد الله بن رواحة، وحسان ابن ثابت، وضرار بن الأزور، وكعب ابن مالك، وكعب بن زهير رضي الله عنهم.

وشاعران من العصر الأموي، هما الطرماح بن حكيم الطائي، والكميت بن زيد الأسدي.

وسبعة شعراء من العصر العباسي، هم: أبو العتاهية، والإمام الشافعي، وأبو تمام، وعلي بن الجهم، والشريف الرضي، وعلي بن المقرب العيوني، وصفي الدين بن الحلي.

وأربعة شعراء من العصر الأندلسي، هم: أبو القاسم الخضر بن أبي العافية، وأبو البركات بن الحاج، وأبو حيان الأندلسي، وأبو عبد الله بن الصانع.

وشاعران من القرن الثاني عشر الهجري، من علماء اليمن هما: الإمام محمد بن إسماعيل الصنعاني المعروف بالأمير، والإمام محمد بن علي الشوكاني.

وجاء التوزع الجغرافي لشعراء العصر الحديث كما يأتي: ثمانية عشر شاعرا من المملكة العربية السعودية، هم: أحمد الحفظي الأول، والشيخ حسين بن غنام، والشيخ أحمد بن مشرف، والشيخ سليمان بن سحمان، والشيخ محمد بن عثيمين، والشيخ محمد بن عبد الله بليهد، وعبد الحميد الخطيب، وخالد الفرج، ومحمد سليمان الشبل، والشيخ عبد العزيز عبد اللطيف آل مبارك، ومحمد حسن عواد، وعبد الوهاب الآشي، ومحمود عارف، وعبدالله بلخير، وعبد الله بن خميس، ومحمد ابن علي السنوسي، وإبراهيم أمين فودة، وحسن عبد الله القرشي.

وأحد عشر شاعرا من مصر هم: محمود سامي البارودي، وحفني ناصف، وأحمد شوقي، وحافظ إبراهيم، وأحمد محرم، وعلي الجارم، ومحمد الهراوي، ومحمود غنيم، وعامر بحيري، وصالح الشرنوبي، وهاشم الرفاعي، وعلي أحمد باكثير.

وثلاثة شعراء من العراق هم: معروف الرصافي، ومحسن الكاظمي، ووليد الأعظمي.

وشاعران من سورية هما: عمر أبو ريشة، وعمر بهاء الدين الأميري. والشاعر محمد إقبال من شبه القارة الهندية، ومحمد العيد بن علي خليفة من الجزائر، ومحمد سعيد العباسي من السودان. فهؤلاء ثمانية وخمسون شاعرا جمعوا الشعر الإسلامي القديم والمعاصر، من دون انقطاع زمني تقريبا، ومثلوا طوائف واتجاهات شتى من الشعراء المحترفين، والشعراء العلماء.

ولئن زاد عدد الشعراء المعاصرين من مصر، فلأنهم كذلك، ومن السعودية فلأنها موطن المؤلف، وقد كان من أهم أهدافه تقديم الأدب السعودي والأدباء السعوديين والتعريف بهم. وغياب أسماء شعراء من بعض البلدان العربية ربما سببه عدم توافر المصادر والمراجع لدى المؤلف، أو أن الكتاب لم يتضمن أسماء الشعراء الذي قدمهم جميعا في برنامجه الإذاعي على مدى سنوات، ومعظم أحاديثه الإذاعية لم تطبع في كتاب.

حاول د.محمد بن سعد أن يلتزم منهجا في ترتيب الشعراء، وفي التعريف بهم، وصرح بأنه اتبع الترتيب الزمني لتاريخ الولادة.. وهو منهج غير مألوف، ولاسيما أن الولادة في تراجم كثير من الشعراء مجهولة، وكثير من تراجمه تسقط الولادة والوفاة، وبعضها يلتزم أحدهما، وبعض آخر يورد الولادة والوفاة كلتيهما، وهو الأقل.

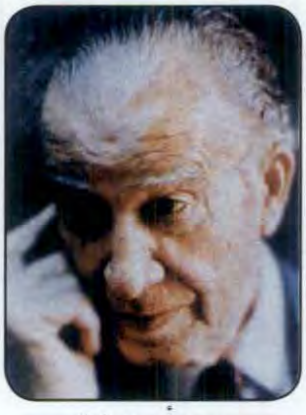

عمر أبو ريشة

محمد إقبال

فإلى أي مدى يصح اندراج الشعراء الذين تناولتهم الدراسة تحت وصف الشعر الإسلامي؟ ويرتبط بهذا السؤال.. سؤال آخر هو: ما مفهوم الشعر الإسلامي؟ وما حدوده؟ هذان السؤالان يبقيان حائرين لعدم توافق النظرية مع التطبيق، وهي مسألة لم ينج منها كثير من الباحثين قديما أو حديثا، فأنت لا تكاد تجد الشعر الإسلامي خالصا فيمن ترجم لهم في كتابه، لأنه يؤمن بأن الشاعر يمكن أن يخدم بفكره الإسلام، حتى أولئك الذين انحرفوا في سلوكهم، أو شطح بهم تفكيرهم[٦].

ويعترف أن من القضايا التي لم يستطع أن يعالجها قضيتين أجلهما لمناسبة أخرى، إحداهما: الفرق بين الأدب الإسلامي وغير الإسلامي. والأخرى: مقالة الأصمعي التي كثر ترديد الباحثين نصها دون أن يتفهموا معناها.[٧] وجاء معدل التراجم صفحتين إلى أربع صفحات، لكنها تتجاوز هذا الرقم أحيانا، إذ جاءت ترجمة الشاعر عبد الحميد الخطيب في تسع عشرة صفحة، وترجمة شوقي في عشرين صفحة، وترجمة كعب بن مالك في أربع عشرة صفحة.

يمكن أن يوصف منهجه في نقد الشعراء بالمنهج الذوقي الانطباعي، إذ يعقب على أشعارهم. فمن ذلك ما قاله عن هائية محمود غنيم أنها كانت من أول ما حفظ في الصبا، وهو ابن أربعة عشر عاما،

وأنه اشترى ديوانه يومها بريالين ونصف، وأن الشاعر من بقية جيل من الشعراء لم يبق منهم إلا أفراد، وأن شعره من السهل الممتنع، ثم يصفه فيما بعد بالفحولة وأن شعره إسلامي عربي، لا تشوبه النزعات العرقية أو الإقليمية.

كان هذا الكتاب محاولة طيبة في عرض نماذج من الشعر الإسلامي في عصر مبكر مع بواكير تشكيل رابطة الأدب الإسلامي عام ١٩٨٤م، ونسأل الله له أجر ما قدم، وأن يكون من العلم الذي ينتفع به■

الهوامش:

(١) للاطلاع على المراجعة: انظر مجلة الأدب الإسلامي العدد (١/٢٠-٢١) مقالا للدكتور محمد بن سعد بن حسين بعنوان: الأدب الإسلامي بين النظرية والتطبيق. والعدد (٤/١٠٧) تعقيب الدكتور عماد الدين خليل على المقال السابق، والعدد (٦/٩٩-١٠٣) مناقشة د.محمد بن سعد لتعقيب د.عماد الدين خليل.

(٢) من شعراء الإسلام، ص ٣٣٥.

(٣) المصدر السابق، ص٤، ٤٠، ٤٤، ٨١، ٨٤.

(٤) المصدر السابق، ص٣٣٥.

(٥) انظر ما دار من نقاش حول الكتاب مجلة الأدب الإسلامي العدد (٤٥/٧٠-٧٢) مقالا بعنوان: وقفة مع كتاب من شعراء الإسلام للأستاذ عبد الله الهويش، وتعقيب الدكتور محمد بن سعد على المقال في العدد نفسه بعنوان: تعليق وليس ردا (ص ٧٣-٧٥)، ورد عبدالله الهويش بعنوان: كلمة أخيرة حول كتاب من شعراء الإسلام في العدد (٥٣/٩٠-٩١).

(٦) من شعراء الإسلام، ص ٣٣٥.

(٧) روي عن الأصمعي أنه قال: (طريق الشعر إذا أدخلته في باب الخير لان). ويقول: (طريق الشعر هو طريق الفحول مثل امرئ القيس وزهير والنابغة من صفات للديار والرحل والهجاء والمديح والتشبيب بالنساء وصفة الخمر والخيل والحروب والافتخار، فإذا أدخلته في باب الخير لان)، وله مقولات أخرى في هذا المعنى. انظر مناقشة مقولاته؛ مقالا بعنوان: تأمل في مقولة الأصمعي للأستاذ أحمد بن سلطان الحارثي، في موقع جامعة أم القرى على الرابط:
http://uqu.edu.sa/page/ar/47891

ماذا لو كنت مبصراً؟

صحبت العمى دهرا فكيف أمله!؟
وكيف أريد اليوم غير رفيقي!؟
سعينا معاً خمسين عاماً ونيفاً
ونسعى مدى الآتي بكل طريقِ
ونبقى على طول المدى عبر صحبة
على خير ما يهوى أخ لشقيقِ
فلا هو مقلاء ولا أنا مبعد
كلانا صديق حافظ لصديقِ
كفاني الوجوه الكالحات بظلمة
كست كل أبصاري بكل شروقِ
لتبصر كل الكائنات بصيرتي
وتكسب أفعالي بكل وثوقِ
يقولون أعمى والعمى ببصائر
تظن العمى قيداً وصك رقيقِ
وما هو إلا شحذة لبصيرة
تمد من المولى بكل عميقِ
من الفكر يكسوه البيان مروطه
فيسحب أذيالاً لمرط أنيقِ
يتيه بها في عالم غير واهن
تجاري به في السبق كل سبوقِ
يخلف من جاراه يفرك عينه
وقد ألهبت من غيرة بحريقِ
ويشتم ضرب السبق من فرط غيظه
وينفث في الآثار حقد حنوقِ
يقول أرى هذا الفتى غير مبدع
ضفادع لم تصدح بغير نقيقِ

د . محمد بن سعد بن حسين